أ. زهير عبدالهادي المحميد
رئيس مكتب الدراسات الاستراتيجية - الكويت

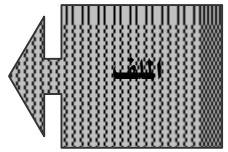

سبل تكامل الأمة الإسلامية

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١).

المقدمة:

أنعم الله سبحانه وتعالى على البشريّة بالأديان والأنبياء والرسل، وختم بالرسول الأكرم(ص) رحمة للعالمين ورضي للإنسان الإسلام ديناً وسطاً، مما يمهّد للبشريّة جمعاء التعايش السلمي والتكامل نحو رفاه الإنسان، ونعمد في الورقة المختصرة التعرّف على بعض ملامح هذا الوجه الحضاري للإسلام وإمكانيّة التعامل والتداخل بيننا لتكامل الأمّة الإسلاميّة من خلال ثقافة التسامح التي تحفظ خصوصيّة كل مذهب كمدخليّة للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة بالإعتصام بحبل الله عزّ وجل وتعزيز تلك الثقافة وذلك التقارب بمبادرات مشتركة للقضايا المشتركة ذات الأولويّة المتوافق عليها للأمّة يتلمّسها الشارع الإسلامي بمختلف مشاربه الفكريّة والمذهبيّة، حيث يقوم الإنسان بمراعاة أخيه الإنسان في الحديث وطيب الذكر، حتى يتقبّل منه الرأي ويحترم أخيه في الدين ونظيره في الخلق في حال الإختلاف، فالتواصل وحسن المعشر هو الذي يؤسس للمودّة ومن

www.SID.ir

Archive of SID

ثم التسامح؛ وبذلك يقطع دابر الشك ويقضي على الوهم والهواجس بالانطلاق من الثوابت المشتركة التي تتفوّق بامتياز على ما اختلفنا به من اجتهادات بشرية، والتي بدورها يمكن التعامل معها من منطلق الشورى التي أمرنا بها الباري جلّ شأنه.

قال الله سبحانه وتعالى عند مخاطبة النبي الأكرم(ص) حول إستخدام سياسة اللين والسلم والابتعاد عن العنف والغلظة، واستخدام سياسة العفو والاعتماد على منهج الشورى كأسلوب في الإقناع والتفاهم الحر والحوار السلمي:
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢).

التعاريف:

* **تعريف الوحدة:** تجمّع أو نظم لجزيئات في بوتقة واحدة لتشكل حالة إتحاد أو حالة تداخل متكاملة لخدمة أهداف أو أعمال موحّدة.

* **تعريف الطائفية:** تقديم مصالح جمع من الناس بصورة إحتكارية تربطهم صلة فئويّة كالعرق (قبليّة، مناطقيّة، عائلية، جنسيّة، وغيره من التصنيفات التكوينيّة) دون مراعاة حقوق الغير.

* **تعريف المذهبيّة:** إلتزام جمع من الناس بأحكام اجتهادية مستنبطة من أدلّة وفق أصول فكريّة معرّفة، يدين بها هذا الجمع ويعمل بها في مختلف شؤون الحياة والعلاقات.

* **تعريف التعصّب:** شعور داخلي يرى فيه الشخص نفسه على حق ويرى الآخر على باطل، ويظهر هذا الشعور بصورة ممارسات ومواقف متزمتة ينطوي عليها احتقار الآخر وعدم الاعتراف بحقوقه وإنسانيته.. ومن سمات التعصب: التسلّط والجمود في التفكير، اللجوء الى العنف لتحقيق الغايات، التمركز حول الذات وعدم تقبّل الحوار مع الآخرين (٣).

* **تعريف الحوار:** تراجع الكلام بين طرفين أو أكثر، وذلك دون وجود خصومة بينهم بالضرورة، وفي لسان العرب: (وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة).

* **تعريف المبادرة** (Initiative): الإقدام على مسار جديد أو عمل مستحدث

وغير مألوف لتغيير الواقع المتعارف عليه لما هو أفضل منه وصناعة الحدث الجديد وتعميمه.

* **تعريف هيئات المجتمع المدني:** المجتمع المدني بالمفهوم الخاص يشير الى مجمل المؤسسات الاقتصادية والاجتماعيّة والسياسية والثقافية التي تتصف بكونها: غير الحكوميّة غير إرثية لا تهدف الى الربح طوعيّة الانتماء إليها حداثيّة في بنيتها وتكوينها. ويرتبط نشاطها عضويًا بفلسفة المجتمع المدني (منظومة الثقافية المدنيّة) التي تتضمن مجموعة القيم الثقافيّة اللازمة لنشاط المجتمع المدني وهي قيَم حداثيّة تتباين مع القِيَم القبليّة والعصبوية ومع قِيَم النظم الشموليّة، وتشكّل مجموعة المحفزّات والدوافع لسلوك الأفراد ونشاطاتهم في مؤسّسات مدنية [٤].

* **تعريف دبلوماسيّة المسار الثاني (الدبلوماسية الشعبية):**

هناك عدّة تعاريف لدبلوماسيّة المسار الثاني نورد منها الآتي:

أ – نوع خاص من الدبلوماسية الغير رسميّة، حيث ينخرط أشخاص غير رسميين (أكاديميين، موظفين مدنيين متقاعدين، عسكريين متقاعدين، شخصيّات عامّة، وناشطين إجتماعيين) بمحادثات بهدف إيجاد حلول لمشاكل محدّدة أو بناء الثقة [٥].

ب – تفاعل بين الأفراد والمجاميع خارج نطاق الدوائر الرسميّة، حيث أن التواصل بين الرسميين يعبّر عنه بدبلوماسية المسار الأوّل أي الدبلوماسية الحكوميّة (ثنائيّة أو متعدّدة الأطراف) فدبلوماسيّة المسار الثاني موصوفة بجميع الأنشطة التي تنفّذ خارج نطاق القنوات الحكوميّة [٦].

ج – محادثات غير رسميّة معنيّة بالسياسات، تركز على إيجاد الحلول للمشاكل، حيث يكون للمشاركين بها القدرة على التواصل مع دوائر صانعي القرار.

إشاعة ثقافة التسامح والحوار:

يعتبر الحوار كما جاء في التعاريف وكذلك التعايش السلمي ثقافة تتبنّاها الشعوب والأمم وليست مجرّد ترف فكري خاص بالنخب للتداول في المنتديات الخاصّة، حيث تظهر جليّة هذه الثقافة في جميع سكنات وحركات الأمّة وأدبيّاتها وأخلاقيّاتها في

www.SID.ir

Archive of SID

التعامل، ولهذه الثقافة مرتكزات تبنى عليها ومنها الآتي:

أ – تبنّي مبدأ التعارف والتعامل مع الناس على أساس أنهم صنفان. إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، مما يتيح للمرء رحابة التعامل الإنساني الشامل مع جميع أصناف البشر على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ومشاربهم وأعراقهم، وذلك من خلال الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ومشاركتهم في عقولهم بما يخص المصير المشترك، وسائر القضايا التي تعتبر من المشتركات الإنسانية، أي (أمرهم) كما هو المصطلح القرآني.

ب – تبنّي النظريّة النسبيّة للحقيقة كمدخليّة رئيسية للفكر الشمولي والتي تمكّن الإنسان من مشاركة الناس عقولهم كما ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب(ع)، أو ما نصطلح عليه في التعبير الأكاديمي بعمليّة العصف الذهني، حيث يتشارك جميع المعنيين بتحليل الموضوع ووضع تصوّراتهم حوله، وكلّ حسب تخصّصه ونظرته وإدراكه للأمور، علماً بأن الفكر البشري وما يحويه من مفاهيم، ما هو إلا ناتج لمعلومات حصل عليها من بيئته المحكومة بظرفي الزمان والمكان اللذان يشكلان البيئة الخاصّة بكل إنسان وهما بالتالي يشكّلان شخصيّة كل فرد من أبناء البشر بحيث لا تتطابق أي شخصيّة مع الأخرى إنما تشتمل على مشتركات ونقاط إختلاف بناء على اختلاف البيئة. فهذان العاملان المتغيّران هما الأساس لفهمنا وادراكنا للأمور مما يؤكّد نسبية الحقائق التي بحوزتنا ويحتّم علينا التكامل مع الآخرين.

ج – اعتماد مبدأ التعدديّة، من خلال الحوار الهادئ والبنّاء والهادف، خصوصًا في التعامل مع الآخرين الذين نختلف معهم بالأفكار والمعتقدات، والعمل على التركيز على المحاور المشتركة مع الآخرين والانطلاق منها وتعزيزها في بناء العلاقات.

د – عدم تبنّي نهج إلغاء الطرف الآخر واحترام آراء الغير ضمن المصير والتعايش المشترك، عليه يتحتّم علينا أن نتيح فرصة التعبير عن الرأي لمن يعارض أفكارنا ومنهجنا، وأن نوفّر له الحصانة العلميّة والأدبيّة في نطاق ذلك، فالأساس في الحوار العقلائي الحر هو حفظ حقوق من نختلف معهم بالرأي بالدرجة الأولى قبل حقوق من نتشارك معهم.

الحوار في القرآن الكريم:

إضافة لما تقدّم نعرض هنا لبعض الآيات القرآنية التي تمهد للحوار بين بني البشر مع الإقرار بالاختلافات الماديّة والمعنويّة لبني البشر:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٧).

إن ما ورد بهذه الآية الكريمة وتفسيرها، لهو أدل على ثقافة التعارف وأهميّة التعارف ومن ثم التكامل بين من يختلفون، فلو كانوا متطابقين لما كان هناك لزوم للتعارف، فالتعارف هو ركن أساسي للإنطلاق نحو الاجتماع والائتلاف والتعاون والتعاضد، ولا يكون التعارف إلا بالحوار بين الناس والمجاميع بشرطه وشروطه وأخلاقه الذي أدّبنا بها رسول الرحمة محمد(ص).

وفيما يلي آية من الذكر الحكيم معنيّة بأخلاقيّات وآداب الحوار بين البشر والأمم البشريّة تحدّد الأطر العامّة للحوار وأوردها مع تفسيرها للتعرّف على أنواع الحوار وكماله:

﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٨).

قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الى آخر الآية لا شك في أنه يستفاد من الآية أن هذه الثلاثة، الحكمة والموعظة والمجادلة من طرق التكليم والمفاوضة فقد أمر بالدعوة بأحد هذه الأمور فهي من أنحاء الدعوة وطرقها وإن كان الجدال لا يعد دعوة بمعناها الأخص.

وقد فسِّرت الحكمة ـ كما في المفردات – بإصابة الحق بالعلم والعقل، والموعظة كما ورد عن الخليل – بأنّه التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب، والجدال ـ كما في المفردات ـ بالمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

والتأمّل في هذه المعاني يعطي أن المراد بالحِكمَة ـ والله أعلم ـ الحجّة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا إبهام، والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له

www.SID.ir

Archive of SID

القلب، لما فيه من صلاح حال السامع مع الغير والعبر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك.

والجِدَال هو الحجّة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصرّ عليه وينازع فيه من غير ان يريد به ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلّمه هو والناس أو يتسلَّمه هو وحده في قوله أو حجّته.

فينطبق ما ذكره تعالى من الحكمة والموعظة والجدال بالترتيب على ما اصطلحوا عليه في فن الميزان بالبرهان والخطابة والجدل.

غير أنه سبحانه قيّد الموعظة بالحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ففيه دلالة على أن من الموعظة ما ليست بحسنة ومن الجدال ما هو أحسن وما ليس بأحسن ولا حسن والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة ومن الجدال بأحسنه.

ولعل ما في ذيل الآية من التعليل بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يوضّح وجه التقييد. فمعناه أنه سبحانه أعلم بحال أهل الضلال في دينه الحق، وهو أعلم بحال المهتدين فيه فهو يعلم أنّ الذي ينفع في هذا السبيل هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الأحسن لا غير.

والاعتبار الصحيح يؤيّد ذلك فإنّ سبيله تعالى هو الاعتقاد الحق والعمل الحق ومن المعلوم أن الدعوة إليه بالموعظة مثلا ممن لا يتعظ بما يعظ به دعوة عملا الى خلاف ما يدعو إليه القول، والدعوة إليه بالمجادلة مثلا بالمسلّمات الكاذبة التي يتسلمها الخصم لإظهار الحق إحياء لحق بإحياء باطل، وإن شئت فقل إحياء حق بإماتة حق إلا أن يكون الجدال على سبيل المناقضة.

ومن هنا يظهر أن حسن الموعظة إنّما هو من حيث حسن أثره في الحق الذي يراد به بأن يكون الواعظ نفسه متعظا بما يعظ ويستعمل فيها من الخلق الحسن ما يزيد في وقوعها من قلب السامع موقع القبول فيرق له القلب ويقشعر به الجلد ويعيه السمع ويخضع له البصر.

ويتحرز المجادل مما يزيد في تهييج الخصم على الرد والعناد وسوقه الى المكابرة واللجاج، واستعمال المقدمات الكاذبة وإن تسلّمها الخصم إلا في المناقضة ويحترز سوء التعبير والازدراء بالخصم وبما يقدسه من الاعتقاد والسب والشتم وأي جهالة أخرى

فإنّ في ذلك إحياء للحق بإحياء الباطل أي اماتة الحق كما عرّفت.

والجدال أحوج الى كمال الحسن من الموعظة ولذلك أجاز سبحانه من الموعظة حسنتها ولم يجز من المجادلة الا التي هي أحسن.

ثم إن في قوله: ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أخذا بالترتيب من حيث الأفراد فالحكمة مأذون فيها بجميع أفرادها، والموعظة منقسمة الى حسنة وغير حسنة والمأذون فيها منهما هي الموعظة الحسنة، والمجادلة منقسمة الى حسنة وغير حسنة ثم الحسنة الى التي هي أحسن وغيرها والمأذون فيها منها التي هي أحسن، والآية ساكتة عن توزيع هذه الطرق بحسب المدعوين بالدعوة، فالملاك في استعمالها من حيث المورد حسن الأثر وحصول المطلوب وهو ظهور الحق[٩].

أسس الحوار والتواصل:

إضافة لما تقدّم من أنواع الحوار في القرآن الكريم نشير بأنّه من أهم أسس الحوار البنّاء هو التواصل الدائم مع الآخرين مما يجعل الباب مفتوحاً للقلوب والعقول، ويعتبر التواصل من أهم الأدوات لدحر الإشاعات والفتن والأوهام التي تبرّر للبشر أفعالهم، فالإنسان عدو ما يجهل، فما بالنا إذا كان عليّة القوم أو قادتهم من الجاهلين لإنعدام التواصل ومشاركة العقول، حيث سيتم إتخاذ القرارات بشكل منقوص من خلال المداخلات الناقصة، وسيعمل بالظنون وقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن ذلك لسوء عواقبها.

التواصل المستمر يعطي العقلاء أرضيّة شموليّة للمعلومات التي يحتاجونها في عمليّة الحوار مع الآخرين، حيث يمكنهم من صياغة أفكارهم بلغة ومصطلحات الطرف الآخر دون الإخلال بالمضامين، وهذا من فنون الاتصال الفعال، مما يسهل عمليّة الإتصال وإستلام الرسالة بشكل واضح ومفهوم من قِبَل الآخرين. بذلك سنتمكّن من عمليّة المخاطبة بالحكمة وتقديم أفكارنا بصورة لا يرتاب منها الآخرون وتعكس الواقع كما هو دون إضافة أو نقصان مع إزالة الأوهام والمخاوف والهواجس المصطنعة والتي ترتفع أسواراً وهميّة من الشكوك بين المجتمعات، وتكون أداة طيّعة للتصادم بحجّة دفع الضرر،

www.SID.ir

Archive of SID

وهذا هو الضرر بعينه على البشريّة المبتلاة بشرور الفتن.

الأساس الثاني للحوار هو حسن إختيار الألفاظ وسائل التعبير لتبادل الأفكار أو الرسائل أو المعلومات، بالمحادثة أو الإشارات أو الكتابة أو سلوكياً، فالإتصال هو فن وتقنيّة استخدام الكلمات بفعّالية ولباقة لتداول الأفكار، أي ما يصطلح عليه بالدبلوماسية. كما علينا التعرّف على مهارات الإتصال الفعّال حيث نحتاج إليها جميعاً، فعلاقاتنا غالباً ما تترجم في شكل من أشكال الإتصال سواء كان الشفهي أو الكتبي أو غيره لغة الجسم والإيماءات.

هذا التدرّج بآليّات الحوار والأسس الداعمة له كفيلة بالإنطلاق لتفعيل ثقافة التسامح وعمليّة التقريب بين مختلف مشارب البشريّة وشرائحها، إذ علينا الاستفادة منها للتقريب بين المذاهب إنطلاقاً من المشتركات المتفق عليها بالحكمة والموعظة الحسنة مع حفظ الخصوصيّة الاجتهادية.

العمل على تقريب المذاهب:

قد يعتقد البعض بشكل خاطئ بأنّ التقريب بين المذاهب يعني بالضرورة ذوبان المذاهب ببعضها البعض، إلا أنّ الهدف من التقريب هو تلمّس المشتركات والإنطلاق منها جماعياً بما هو متفق عليه، وإبقاء ما اختلفنا فيه من اجتهادات ضمن دائرة الحوار العقلائي لأهل الاختصاص، والمدخليّة لهذا المحور بالنسبة لنا هي التسامح وقبول الطرف الآخر، وحفظ حقه في الاجتهاد والتعبير العقلائي والفكري الحر، وهذا ما أصطلح عليه من الناحية العمليّة بنظريّة الحقيقة النسبيّة كما أسلفنا سابقاً، أي بمعنى آخر بأنّ الإنسان لا يملك كمال الحقيقة المطلقة ليحاكم الآخرين بها ويخرجهم من ملّة المؤمنين أو بني البشر، إنّما يتكامل من خلال قبول الطرف الآخر والتواصل والتحاور معه، حيث أنّه قد يملك جزءاً من الحقيقة الذي يعين على التكامل المنشود والإثراء الفكري والروحي للاعتصام بحبل الله، وبهذا يبتعد الإنسان عن النظرة الضيقة للأمور والتصنيف المسبق للبشر دون المعشر الحسن بهم والتكامل معهم.

بما أن الإنسان كائن محدود بحيث لا يمكن له شمول جميع العلوم والتخصّص بها بلا منازع، وبما أنّ ظرفي الزمان والمكان أيضاً عناصر متغيّرة، إذن فإن ما نتعامل معه من موضوعات مبنيّة على متغيرات، هي حقائق نسبيّة تحتمل الخطأ والصواب وجزئيّاتهما، فكذلك الحال بالنسبة للأفراد الآخرين، وهنا تكمن عمليّة التكامل البشري، عندما يعترف الإنسان بذلك ويفسح المجال للإنصات المتدبر لأفكار الغير والتعامل بما لديهم من معلومات وفق مبانيها الفكريّة، وأفكار قابلة للحوار والتقييم ومقارعة الحجّة بالحجّة لتكامل الحقيقة ومن زوايا مختلفة ، فهذه هي المشاركة العقلائيّة الحقيقيّة، فلو كانت العقول متطابقة لما تم حث البشر على مشاركة العقول فلا يوجد ما هو مختلف بينهم لطلب البحث عن المشتركات في عقولهم وأيضاً لن يكون هناك قيمة لعمليّة العصف الذهني فنتيجة المتطابقات واحدة لا تتغيّر.

دون ذلك قد يتعامل الإنسان بعقليّة أنّ ما لديه هو كمال الحقيقة وجوهرها، وهنا مكمن الخطر ومبدأ التطرّف والتعصّب أو الإرهاب الفكري والمؤدّي للإرهاب المادي، حيث يعتقد الإنسان بأن من يخالفه، يخالف الحق، وذلك بالضرورة يعني أن المخالفين على باطل ويجب مواجهتهم ووضع حد لهم، وهذا منشأ الصراع البشري والأممي، حيث تتحوّل الأمور من الموضوعيّة العقلانيّة الى الحالة الشخصانيّة التي تربط المواضيع بالأشخاص، وتحوّل الاختلاف بالآراء والأفكار الى خلاف يوجب الصراع بأشكاله وأدواته المختلفة، ومما يزيد الأمر خطورة، هو عندما يلبّس الإنسان الإختلاف مع الآخرين لبوس الدين، فهنا يعتقد الشخص بأنَّ من يخالفه في الرأي والاجتهاد المذهبي إنّما يخالف الحق المطلق، ومن يخالف الحق فهو مخالف لله ورسوله، ومن يخالف الله سبحانه وتعالى خارج عن الدين والملّة، ويجب عزله أو قتله، وعليه فيتم هدر دمه واستباحته، وهذا منشأ الفكر التكفيري المعادي للإنسانيّة والدين والعقل والحكمة التي أمرنا بها الحق المطلق وهو الله سبحانه وتعالى، وهكذا لون من الفكر ينزع الرحمة من قلب الإنسان والحكمة من عقله.

إن العقليّة التي تؤمن بالحقيقة المطلقة لمداركها الموضوعيّة، عادة ما تكون عقليّة

www.SID.ir

Archive of SID

طاغوتيّة تسلطيّة وتزداد خطورة تلك العقليّة كما أشرنا، عندما يتم إضفاء الشرعيّة الدينيّة والعقائدية عليها، بحيث يصبح من يخالفها ليس فقط عدواً لها بل عدواً لله والدين ويجب إنقاذ البشريّة منه وتنقية الدين من شوائبه، فهذه العقليّة هي التي استدرجت أوروبا الى عصورها الوسطى السوداء، وهي التي تحكم الصراعات المفتعلة في عالمنا الإسلامي ومجتمعاتنا المحليّة مما يؤسس لفرقتنا كمسلمين ويسيّد ثقافة التنافر والتعادي لدرجة إلغاء بعضنا البعض أولاً من الناحية الفكريّة ومن ثم بالتبعيّة من الناحية الوجوديّة؛ مما يحتم التنافر والتقاتل والعياذ بالله، وهذه مع الأسف بذور الفتنة ومبدأ الحروب التي تخرج جميع الأطراف بالخسارة الفادحة الماديّة والمعنويّة ، كما تساهم في تخلف الأمم والحضارات وتسيّد الغير عليها، وبالمعنى القرآني لذلك (تذهب ريحنا) في حال التنازع بين المذاهب الإسلامية، أهل لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وهذه هي الورقة التي يلعب بها أعداء الأمة وجهلاؤها لإستدامة تفتيتنا وشرذمتنا حتى لا تقوم لنا قائمة بين الأمم والحضارات ولإستدامة تهميشنا وإستضعافنا.

لضمان المسار السليم نحو الفكر الحر والخلاق، علينا أن ننطلق من نظريَّة نسبيّة الحقيقة في جميع الأمور الواقعة (الموضوعيّة) لتوسعة مداركنا وقبول الأطراف التي تختلف معنا فكرياً بحيث ننطلق معها بالمشتركات ونهذّب ما نختلف عليه ليبقى ضمن الاختلاف بالاجتهاد وليس الخلاف المحتّم للتصادم والتنازع.

عملاً بما تقدَّم، علينا العمل بالمشتركات والإنطلاق منها وفق أولويّات متوافق عليها بين مختلف المذاهب الإسلاميّة ، فالقضايا العامّة الماثلة كتحد مستدام أمام جميع المذاهب الإسلاميّة عديدة، مما يحتّم علينا نضمها كأولويّات ومن ثم تحديد الخطاب الإسلامي العام نحوها بالتوافق على مضامين المصطلحات، وترجمة العمل الدبلوماسي والسياسي الأهلي والرسمي وفق تعريف جامع للأعداء والأصدقاء، ومن ثمّ توزيع الأدوار وفق القدرات والعمل بها بالتوازي وفق استراتيجية محدّدة المعالم، تنقلنا من موقع المتلقي لقرارات الغير الى المُبَادر في صناعة حاضرنا ومستقبلنا كأمّة لإستعادة موقعيّة (خير أمّة أخرجت للناس).

المبادرة بالمشاريع المشتركة لنقل ثقافة التقريب للجمهور العام:

مع عدم الاكتفاء بالمنتديات العلمية الخاصة والاجتماعات الدوريّة، ننتقل مما تقدَّم عن ثقافة التسامح والحوار، والعمل على التقريب بين المذاهب، الى المبادرة بترجمة تلك المفاهيم والأسس والأدوات وتحويلها لمشاريع عمل مشتركة ملموسة من قبل الشارع العام لنقل المجتمعات من الخصوصيّة الفئوية الى الرحابة الإنسانية، والتكامل من حيث القدرات المعنوية والمادية، ولتفعيل ذلك يتحتّم علينا الانطلاق من العلاقات الاجتماعية والثقافية لإحياء مبدأ التعارف بهدف إزالة عناصر الشك في العلاقة وتعزيز الثقة بين مختلف الأطياف الاجتماعية بتفعيل دور هيئات المجتمع المدني وتداخلها دولياً بناءً على تخصصاتها ومن ثم البناء عليها نحو تعزيز العلاقات السياسية والاقتصادية وغيرها من شؤون نظم أمور الامة نحو عزّتها وسيادتها.

فمن شأن المبادر بالمشاريع المشتركة تحت العنوان الإسلامي العام أن تنقل هذا الحوار العقلائي الفكري من صنّاع الرأي الإسلامي الى المسلمين بمختلف مذاهبهم وأعراقهم ليصبح واقعاً معاشاً في قضاياهم وشؤونهم اليوميّة المعاشة؛ بحيث يتم تعزيز وتحصين الحاضن المجتمعي لهذه الثقافة، والتي لا يمكن لأي متربّص النيل منها واللعب على الاختلافات المذهبيّة لتحويلها الى خلافات تفتّت الأمّة، وبهذا الصدد نعرض أدناه لمبادرات مشاريع قابلة للتطبيق والعمل وترجمة هذه الثقافة لواقع منشود:

أ – هيئة تفكير إستراتيجي إسلامية:

إنشاء هيئة إسلاميّة مستقلة للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، عبارة عن وحدة تفكير استراتيجي اسلامية تشكل من الكفاءات الإسلاميّة لترشيد القرار على مختلف الأصعدة، ورسم استراتيجية مبادرة واضحة للعالم تحدد الموقعيّة المستقبلية المنشودة للأمّة وتنظم الأولويات ويتم نظم أعمال التقييم والتقويم الدوري لها، لتكامل طاقات الأمّة البشريّة والماديّة وكذلك الرسميّة والمدنيّة في أطر الأهداف الإستراتيجية.

ب – إتحاد إسلامي لهيئات المجتمع المدني:

استثمار وترشيد طاقات هيئات المجتمع المدني من خلال تأسيس إتحاد إسلامي لهيئات المجتمع المدني، ينسق الفعّاليّات الأهليّة للأمّة وفق منظور استراتيجي متوافق

www.SID.ir

Archive of SID

عليه ومشخّص من قبل أوعية التفكير الاستراتيجي الإسلاميّة وتطويرها وإخراجها للواقع العملي لخدمة الرسالة والأهداف المذكورة أدناه:

المهمة (الرسالة):

تكامل الطاقات والقدرات للمجتمع المدني الإسلامي ضمن أطر استراتيجية عامّة متوافق عليها، تأخذ بزمام المبادرة لصناعة الواقع والمستقبل، وتعزز ثقافة المبادرة وتثبيت منعة الأمة.

الأهداف العامّة:

أـ توحيد المسار الاستراتيجي للأمّة وتكامل الأدوار بناء على القدرات والمواقع.

ب – حشد الطاقات الفكريّة العقلائيّة لمواجهة التحديات على مختلف الأصعدة.

ج – تفعيل الدبلوماسية الشعبية المشتركة لنصرة قضايا الأمّة.

د – تعزيز التواصل مع مختلف هيئات المجتمع المدني الدوليّة الفاعلة على مختلف الأصعدة.

هـ – التنسيق مع النظم الرسميّة الداعمة للشعوب وثقافة المقاومة واسترجاع الحقوق وصيانتها.

و – إستقراء المنعطفات ومراجعة البرامج بشكل دوري.

ج – تطوير المناهج التربوية:

نشر ثقافة التسامح والحوار من خلال المناهج التربويّة الدينية الأهليّة الرسميّة بتعريف الطلبة على مختلف المذاهب الإسلامية من مصادرها مع التركيز على المشتركات لتعميم الثقافة العقائديّة وتوسعة الأذهان لدى الأمّة.

د – برامج إسلامية مشتركة:

التعاون بين القنوات الفضائيّة الإسلاميّة من خلال إعداد وإخراج وبث برامج مشتركة معنيّة بالمشتركات الإسلاميّة العقائدية، وكذلك برامج تحاكي الأولويّات لقضايا المسلمين المعنيّة بحاضرهم ومستقبلهم.

هـ- مشاريع إغاثيّة مشتركة:

إنشاء هيئة إسلاميّة إغاثيّة مشتركة من مختلف المدارس الفقهيّة لخدمة الإنسان

المسلم وتعزيز أوضاعه المعيشية والمهنيّة مما يعزّز الحاضن المجتمعي للمسلمين ويحصّنه من فتن الأعداء.

فمن شأن هذه النماذج للمبادرات الميدانية بعد تفعيلها أن تفتح الأبواب للمزيد من المبادرات العلميّة الميدانيّة المشتركة التي تعزّز تكامل أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتخرجها من التحصن بالطائفية والتخندق المذهبي لإستعادة موقعيّة خير أمة أخرجت للناس كواقع معاش وملموس للجمهور العام، لا يقتصر على الأمة الإسلامية، بل يشمل البشريّة كافة نحو سعادتها في الدارين. فالمأمول من هذا المنتدى المبارك المعقود بإسم الوحدة الإسلامية، العمل على إنشاء هيئة لمتابعة التوصيات وتفعيلها حتى لا يتم ضم أوراق العمل مع سابقاتها في المنتديات الأخرى ضمن أرشيف عام قد لا يرى النور، ونلتقي في منتديات مستقبلية لطرحها مجدداً مما يفقدنا مصداقيّة العمل الجاد والمنهجي لتغيير واقعنا لما هو أفضل.

التوصيات:

بناءً على ما تقدّم في هذه الورقة المختصرة بشأن سبل تكامل الأمة الإسلامية، نخلص الى التوصيات الآتية:

أولاً: نشر ثقافة التسامح في الأمة لتطوير واقعها للأفضل وصناعة مستقبلها بإرادتها نحو بلوغ مرتبة الريادة الإنسانيّة مع مراعاة الآتي:

أ – إطلاق حريّة الفكر والبحث العلمي العقلائي.

ب – العمل بالمشتركات والانطلاق منها مع تهذيب الاختلافات.

ج – احترام آراء الغير ضمن المصير والتعايش المشترك، ونبذ النهج الإلغائي للآخرين.

د – العمل بالشورى الإلزامية في الأعمال المشتركة.

ثانياً – الإنطلاق من العلاقات الاجتماعية والثقافية لإحياء مبدأ التعارف بهدف إزالة عناصر الشك في العلاقة وتعزيز الثقة بين مختلف الأطياف الاجتماعية، ومن ثمّ البناء عليها نحو تعزيز العلاقات السياسيّة والاقتصادية وغيرها وذلك بالاستفادة من

www.SID.ir

Archive of SID

دبلوماسية المسار الثاني (الدبلوماسية الشعبيّة).

ثالثاً – التوافق بين هيئات المجتمع المدني الإسلاميّة على منهجيّة سياسية بناء على نظم الأولويات بالنسبة للقضايا المصيريّة المشتركة، وتحديد الأعداء والأصدقاء، للإنطلاق نحو عمل منهجي منظّم يوزّع الطاقات حسب القدرات والإمكانات وفق الظروف الموضوعيّة لكل طرف تحقيقاً للأهداف المتوافق عليها.

رابعاً – المبادرة الى ترجمة توصيات المنتديات واللقاءات لمشاريع عمل ملموسة من خلال تشكيل هيئة إسلاميّة مشتركة للمتابعة تنقل الواقع الاجتماعي للأمّة من حاله لما هو أفضل منه على مختلف الأصعدة، على أن تلامس هذه المشاريع عموم الشارع العام ولا تختصر على صنّاع الرأي أو صنّاع القرار فقط في الأمّة.

الهوامش:

١ – آل عمران/ ١٠٣.

٢ – آل عمران/ ١٥٩.

٣ – تعريف التعصب http://wikipedia.org/wiki.

٤ – الدكتور فؤاد الصلاحي – أستاذ علم الاجتماع السياسي – دور مؤسسات المجتمع المدني في التربية المدنيّة – ورقة عمل مقدمة الى ورشة العمل الخاصة بـ التعليم من أجل مواطنة ديمقراطية – ٧ تموز ٢٠٠٥م.

٥ – تعريف دبلوماسية المسار الثاني (الدبلوماسية الشعبية) http://ar.wikipedia.org/wiki.

٦ – داليا داسا كاي – التحدّث مع العدو – دبلوماسية المسار الثاني في الشرق الأوسط وجنوب آسيا – مؤسسة راند (RAND) للدراسات والأبحاث – قطاع بحوث الأمن الوطني – سانتا مونيكا – كاليفورنيا – الولايات المتحدة الأمريكيّة.

٧ – الحجرات/ ١٣.

٨ – النحل/ ١٢٥.

٩ – العلامة محمد حسين الطباطبائي قدس سره الشريف – الميزان في تفسير القرآن . www.holyquran.net.